

المواقف والمخاطبات

النفري


عيون النثر العربي القديم
المواقف والمخاطبات
النِّفَّري



منهاج البلغاء وسراج الأدباء

المواقف والمخاطبات

النِّفَّري

BP189.62 .N54 2015

نفري، محمد بن عبد الجبار، ت. 965.
المواقف والمخاطبات/ تأليف: محمد بن عبدالجبار النفري؛ إعداد: أحمد خريس.- ط. 1.-
أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، 2015.
ص.؛ سم. (سلسلة عيون النثر العربي القديم)
تدمك:
1. التصوف الإسلامي. 2. الشعر الصوفي.
أ. خريس، أحمد. ب. العنوان.

إعداد:
د. خليل الشيخ

خطوط:
الفنان التشكيلي الخطاط محمد
مندي





حقوق الطبع محفوظة
دار الكتب الوطنية
هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة
«المجمع الثقافي»

© National Library
Abu Dhabi Tourism & Culture Authority
"Cultural Foundation"

الطبعة الأولى 1435هـ 2014م

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي
هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة - المجمع الثقافي

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380
publication@tcaabudhabi.ae
www.tcaabudhabi.ae

المقدمة

هذه مقتطفات مختارة من كتاب "المواقف والمخاطبات" للنفَّري، وهو محمد بن عبد الجبار بن الحسن بن أحمد، ولد في مدينة نفَّر على ضفاف نهر الفرات، وإليها نسب. وتبدو حياة هذا الشيخ المتصوِّف غامضة، إذ لم يتوفر الدارسون والباحثون على أي معلومات لها قيمة تاريخية تتصل بحياته وسيرته سوى ما ذكره عفيف الدين التلمساني؛ شارح كتاب "المواقف والمخاطبات"، أنه توفى عام (375هـ) في القاهرة، ولم يثْبُت عنه شيء إلا أنه عاش في القرن الرابع الهجري، ولم يستقر به المقام في مكان، وأنه عاصر محنة الحلاج. ويرى المستشرق رينولد نيكلسون، المتخصص في التصوف والأدب الفارسيَّيْن، أن النفَّري "درويش أفّاق مغامر في أقطار الأرض"، في حين يوضح المستشرق آرثر جون آربري؛ مكتشف "المواقف والمخاطبات" ومحققها، أن شخصية النفري شخصية غامضة في تاريخ التصوُّف الإسلامي.

اكتشف آربري كتاب "المواقف والمخاطبات" سنة (1934)، ويتألف الكتاب من قسمين متواصلين فكرياً ومنهجياً هما: المواقف والمخاطبات.

ومعنى المواقف كما يرى النفري أنها وقفات أمام الله، ثم هي موافقة الله له أو معه حسب أحواله ومقاماته، أو هي استجابة لخطاب الله في نفسه، حتى إذا وصل العارف النوراني إلى غاية الغايات من وقفته واستجابته، فاضت به إشراقه نورانية إلهية، فقد فيها نفسه أو ذاته، وهنا يشعر بوجوده حقاً في تلك اللحظات بصورة أوضح، فالواقف في فلسفة النفَّري هو المنقطع عن الطلب لفنائه في المطلوب، والوقفة عنده نورية تطمس الخواطر الغيرية. يقول: "وقال لي الوقفة ينبوع العلم، فمن وقف كان علمه تلقاء نفسه، ومن لم يقف كان علمه عند غيره، وقال لي: الوقفة نورية تعرف القيم وتطمس الخواطر، وقال لي: دخل الواقف كلَّ بيت فما وسعه، وشرب كلَّ مشرب فما روي، فأفضى

إليَّ وأنا قراره وعندي موقفه". وتمثل الوقفة جوهر فلسفة النفري الصوفية، ولما كانت الوقفة مقاماً فوق المعرفة، وكانت المعرفة فوق العلم فإن الواقف أقرب إلى الله من العارف والعالم.

ويدرك النفَّري في مواقفه كما في مخاطباته رهبة المواقف أمام المخاطب الأعلى الأوحد الأعظم، وأن رهبة المخاطَب وعلو منزلته فرضت أن يكون الخطاب فردانياً أحادي الجانب من الله فقط، من صاحب العزة فقط، الله يتكلم والنفّري يتلقى ويصمت، فالعارف إن نطق لن يكون كلامه إلا شطحاً أو عبارةً غير مفهومة. لذلك فضَّل النفَّري في وقفاته ومواقفه أن يصمت، كدليل على عجز العبارة وضيقها، فضلاً عن أن الصمت مجال رؤية أو إدراك، أو معرفة لحشود المعاني العميقة تضيقُ بها العبارة وتتسع معها الرؤية بحسب قولته الشهيرة: "إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة".

موقف القُرب

أوقفني في القُرب وقال لي: ما منِّي شيءٌ أبعد من شيء، ولا مني شيء أقربُ من شيء إلا على حكم إثباتي له في القرب والبعد.

وقال لي: البُعد تعرِفه بالقرب، والقرب تعرفه بالوجود. وأنا الذي لا يروقه القرب، ولا ينتهي إليه الوجود.

وقال لي: أَدْنى علوم القرب أن ترى آثار نظري في كل شيء، فيكون أغلبَ عليك من معرفتك به.

وقال لي: لا بُعدي عرَفت، ولا قُربي عرفت، ولا وصْفي ــ كما وصفي ــ عرفت.

وقال لي: أنا القريب لا كقرب الشيء من الشيء، وأنا البعيد لا كبعد الشيء من الشيء.

وقال لي: قَربك لا هو بعدك، وبعدك لا هو قربك، وأنا القريب البعيد قرباً هو البُعدُ، وبعداً هو القريب.

وقال لي: القُرب الذي تعرفه مَسافة، والبُعد الذي تعرفه مسافة، وأنا القريبُ البعيدُ بلا مسافة.

وقال لي: أنا أقرب إلى اللسان من نُطْقه إذا نَطَق، فمن شهدني لم يذكر، ومن ذكرني لم يَشْهد.

وقال لي: الشاهد الذاكر إن لم يكن حقيقةً ما شَهِده، حَجَبَهُ ما ذَكر.

وقال لي: ما كل ذاكرٍ شاهد، وما كل شاهدٍ ذاكر.

وقال لي: تعرَّفت إليك وما عرَفْتَني؛ ذلك هو البعد، ورآني قلبُك وما رآني؛ ذلك هو البعد.

وقال لي: تَجِدني ولا تجدني؛ ذلك هو البعد، تَصِفني ولا تدركني بصفتي؛ ذلك هو البعد، تسمع خطابي لك من قلبك وهو مِني؛ ذلك هو البعد، تَراك وأنا أقرب إليك من رؤيتك؛ ذلك هو البعد.

موقف الوقفة

أوقفني في الوقفة وقال لي: إن لم تَظفر بي أليس يظفر بك سواي؟

وقال لي: من وَقَف بي ألبَسْتُه الزينة، فلم يرَ لشيء زينة.

وقال لي: تَطهَّر للوقفة وإلا نَفَضْتُك.

وقال لي: إن بقي عليك جاذب من السِوى[1] لم تقف.

وقال لي: الوقفة ينبوع العلم، فمن وقف كان علمه تَلقاء نفسه، ومن لم يقف كان عِلمه عند غيره.

وقال لي: الواقف ينطق ويصمت على حكم واحد.

وقال لي: الوقفة نوريَّة تعرف القيم وتطمس الخواطر.

وقال لي: الوقفةُ وراء الليل والنهار، ووراء ما فيهما من الأقدار.

وقال لي: الوقفة نارُ السِّوى، فإن أحرقته بها، وإلاّ أحرقتك به.

وقال لي: دخل الواقف كل بيت فما وَسِعَه، وشرب من كلِّ مَشرب فما روي، فأفضى إليَّ، وأنا قراره، وعندي موقِفُه.

وقال لي: إن دعوْتَني في الوقفة خرجْتُ من الوقفة، وإن وقفت في الوقفة خرجت من الوقفة.

وقال لي: ليس في الوقفة ثبْتٌ ولا محوٌ ولا قولٌ ولا فعلٌ ولا عِلمٌ ولا جهل.

وقال لي: الوقفة من الصمدية، فمن كان بها كان ظاهِرُه[2] باطنَه وباطنُه ظاهِرَه.

وقال لي: لا ديموميَّة إلا لواقف، ولا وقفة إلا لدائم.

وقال لي: الوقفة باب الرؤية، فمن كان بها رآني، ومن رآني وَقَف، ومن لم يرني لم يقف.

وقال لي: لو كان قلب الواقف في السِّوى ما وقف، ولو كان السوى فيه ما ثَبَت.

موقف التقرير

أوقفني في التقرير وقال لي: تَريدني أو تريد الوقفة أو تريد هيئة الوقفة؟ فإن أردتَني كُنت في الوقفة لا في إرادة الوقفة، وإن أردت الوقفة كنت في إرادتك لا في الوقفة، وإن أردت هيئة الوقفة عَبَدْت نفسَك وفاتَتْك الوقفة.

وقال لي: الوقفة وصفٌ من أوصاف الوقار، والوقار وصف من أوصاف البهاء، والبهاء وصف من أوصاف الغنى، والغنى وصف من أوصاف الكبرياء، والكبرياء وصف من أوصاف الصمود، والصمود وصف من أوصاف العِزة، والعزة وصف من أوصاف الوحدانية، والوحدانية وصف من أوصاف الذاتية.

وقال لي: الوقفة خروج الهم عن الحرف، وعما ائتلف منه وانفرق.

وقال لي: إذا خَرَجْتَ عن الحرف خرجت عن الأسماء، وإذا خرجت عن الأسماء خرجت عن المسميات، وإذا خرجت عن المسميات خرجت عن كل ما بدا، وإذا خرجت عن كل ما بدا قلتَ فسمعتُ، ودعوتَ فأجبتُ.

وقال لي: إن لم تُجز ذكري وأوصافي ومحامدي وأسمائي رَجَعْتَ من ذكري إلى أذكارك، ومن وصفي إلى أوصافك.

وقال لي: الواقف لا يعرف المجاز، وإذا لم يكن بيني وبينك مجاز، لم يكن بيني وبينك حجاب.

وقال لي: إن ترددت بيني وبين شيء، فقد عدلت بي ذلك الشيء.

وقال لي: إذا دعوتك فلا تنتظر باتباعي طرح الحجاب، فلن تحصر عدَّه، ولن تستطيع أبدا طَرْحه.

وقال لي: إن استطعت طرحه فإلى أين تطرحه والطرح حِجاب، والأين[3] المطروح فيه حِجاب؟ فاتَّبِعني أطرح حجابك، فلا يعود ما طرحتُه، وأهدي سبيلك، فلا يضل ما هديت.

وقال لي: معارف كل شيء توجد به، وأسماؤُه من معارفه، وإذا سقطتْ معارف الشيء سقط الوجد به.

وقال لي: لكل شيء اسم لازم، ولكل اسم أسماء، فالأسماء تَفرق عن الاسم، والاسم يفرق عن المعنى.

موقف ما تصنع بالمسألة

أوقفني وقال لي: إن عَبَدْتني لأجل شيء أشركت بي.

وقال لي: كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة.

وقال لي: العبارة سِتر، فكيف ما ندبت إليه؟

وقال لي: أنا وعزتي ضيف أعزائي، إذا رأوني أفرشوني أسرارَهم وحجبوا عني، أتسألني أن أسفر وقد أسفرت، أم تسألني أن أحتجب فإلى من تفيض.

وقال لي: إذا رأيتَني لم يبق لك إلا مسألتان: تسألني في غيبتي حفظك على رؤيتي، وتسألني في الرؤية أن تقول للشيء كن فيكون.

وقال لي: لا ثالثة لهما إلا من العدو.

وقال لي: أبحتك قصد مسألتي في غيبتي، وحرَّمت عليك مسألتي مع رؤيتي في حال رؤيتي.

وقال لي: إذا لم أغب في أكلك قطعتك عن السعي له، وإذا لم أغب في نومك لم أغب في يقظتك.

وقال لي: عزمك على الصمت في رؤيتي حجبة، فكيف على الكلام؟

وقال لي: العزم لا يقع إلا في الغيبة[4].

وقال لي: انظر إليَّ في نعمتي تعرفني في تعّرفي إليك.

وقال لي: من لا يعرف نعمتي كيف يشكرني؟

وقال لي: لا أبدو لعين ولا قلب إلا أفنيته.

وقال لي: تراني فيما تقول كيف تقول، تراني في جزعك كيف تجزع، تراني في الفتنة كيف تحتوي عليك الذلة.

وقال لي: اعرف حالك من المستند.

وقال لي: إن كان المستند ذِكري ردَّك إليَّ

موقف ادعني ولا تسْألنـي

أوقفني وقال لي: الدنيا سجن المؤمن. الغيبة سجن المؤمن.

وقال لي: الغيبة دنيا وآخرة، والرؤية لا دنيا ولا رؤية.

وقال لي: ليس من أهل الغيبة من لم يكن من أهل الرؤية.

وقال لي: الصلاة في الغيبة نور.

وقال لي: ادْعُني في رؤيتي ولا تسألني، وسلْني في غيبتي ولا تدعني.

وقال لي: انظر ما بدا لك، فإن قَطعك عن القواطع فهو مِني.

موقف ما لا ينقال

أوقفني في ما لا ينقال، وقال لي: به تجتمع فيما يَنْقال.

وقال لي: إن لم تشهد ما لا ينقال تشتَّت بما ينقال.

وقال لي: العبارة ميلٌ، فإذا شهدتَ ما لا يتغير لم تمل.

وقال لي: القول يصرف إلى الوجد، والتواجد بالقول يصرف إلى المواجيد بالمقولات.

وقال لي: المواجيد بالمقولات كفرٌ على حكم التعريف.

وقال لي: لا تسمع فيَّ من الحرف، ولا تأخذ خبري عن الحرف.

وقال لي: الحرف يعجز أن يخبر عن نفسه، فكيف يخبر عني؟

وقال لي: أنا جاعلُ الحرفِ والمخبرُ عنه.

وقال لي: أنا المخبر عني لمن أشاء أن أخبره.

وقال لي: لإخباري علامة بإشهاد لتوجد بسواه، ولا يبدو إخباري إلا فيه.

وقال لي: لاتزال تكتب ما دمت تحسب، فإذا لم تحسب لم تكتب.

وقال لي: لا تكتب ولا تهم، ولا تحسب ولا تطالع.

وقال لي: الهم يكتب الحق والباطل، والمطالعة تحسب الأخذ والترك.

وقال لي: ليس مني ولا من نسبتي من كتب الحق والباطل، وحسب الأخذ والترك.

وقال لي: كل كاتب يقرأ كتابته، وكل قارئ يحسب قراءته.

موقف العهد

أوقفني في العهد، وقال لي: اطرح ذنبك على عفوي، وأَلْقِ حسنتك على فضلي.

وقال لي: اترك علمك إلى علمي تقتبسْ نور الهداية، وألق معرفتك إلى معرفتي تثبت الهداية.

وقال لي: إذا وَقَفْت بي تعرَّض لك كل شيء ليدفعك عني.

وقال لي: إنما تأخذ أجرك ممن أصبحت له أجيراً.

وقال لي: إنما أنت أجيرُ من تعمل من أجله.

وقال لي: إن عملت من أجلي فذاك لي، وإن عملت لي من أجل غيري فذاك لغيري.

وقال لي: إن كنتَ أجير العلم أعطاك الثواب العلم، وإن كنتَ أجير المعرفة أعطيتك السكينة.

وقال لي: كن أجيري أرفعْك فوق العلم والمعرفة، فترى أين يبلغ العلم، وترى أين ترسخ المعرفة، فلا يسعك المبلغ، ولا يستطيعك الرسوخ.

وقال لي: إذا عرضت الجمع وَقَف الواقفون بي في فنائي لا يراعون فيتلجلجوا، ولا يفزعون فيتحيروا.

وقال لي: إذا وقفت بي أعطيتك العلم، فكنت أعلم به من العالمين، وأعطيتك المعرفة فكنت أعرف بها من العارفين، وأعطيتك الحكم فكنت أقوم به من الحاكمين.

وقال لي: أين جعلت اسمي فثَّم اجعل اسمك.

وقال لي: الحرف[5] يسري في الحرف حتى يكونه، فإذا كانه سرٌّ عنه إلى غيره، فيسرى في كل حرف، فيكون في كل حرف.

وقال لي: إذا نطقت بالحرف رددته إلى المبلغ الذي تطمئن به، فيسري بحكم مبلغه في الحروف، فيسري إليك حكم السوى.

وقال لي: الحرف الحسن يسري في الحروف إلى الجنة، والحرف السوء يسري في الحروف إلى النار.

وقال لي: انظر ما حرفك وما مبلغك.

وقال لي: انصرني تكن من أصحابي.

وقال لي: إذا رددتُك لنصرتي لم أوجدك قوة إلا من نصرتي.

وقال لي: إذا أردتك لنصرتي علَّمتك من علمي ما لا يحمله العالمون.

وقال لي: إنما يقف في ظل عرشي أنصاري.

وقال لي: يا عارف انصرني وإلا أنكرْتَني.

وقال لي: المعترض لي ينقلب إلى كل النعيم، والمعترض عليَّ ينقلب إلى كل العذاب.

وقال لي: اعْرِف مقامي وقم فيه.

وقال لي: إذا وقفتِ في مقامي جاءك الإخبار من السماء ومن الأرض ومما بينهما فألقه في النار، فإن كان باطلاً حطَّمتَه ولم يحطمك، وإن كان حقاً رددته إليَّ ولم يحجبك.

وقال لي: الحرف الذي تكونت به الحروف لا يستطيع محامدي، ولا يثبت لمقامي.

موقف عنده

أوقفني عنده وقال لي: انظر إلى الحرف وما فيه خلفك، فإن التفتَّ إليه هويتَ فيه، وإن التفت إلى ما فيه هويت إلى ما فيه.

وقال لي: الحق هو ما لو قَلَبَك عنه أهل السموات والأرض ما انقلبت، والباطل هو ما لو دعاك إليه أهل السموات والأرض ما أجبت.

وقال لي: لا تيأس مني، فلو جئت بالحرف كله سيئات كان عفوي أعظم.

وقال لي: لا تجترئ عليَّ، فلو جئت بالحرف كله حسنات كانت حجتي أَلْزم.

وقال لي: فضلي أعظم من الحرف الذي وجدت علمه، ومن الحرف الذي علمت علمه، ومن الحرف الذي لم تجد علمه، ومن الحرف الذي لم تعلم علمه.

وقال لي: إذا وقفت عندي رأيت ما ينزل وما يعرج، وجاءَك الحرف وما فيه، فخاطبك كلُّ شيء بلسانه، وترجم لك كل بيان ببيانه، ودعاك كل شيء إلى نفسه، وطَلَبَك كل جنس إلى جنسه.

وقال لي: الدليل من جنس الحِجاب، والحجاب من جنس العقاب.

وقال لي: من كان دليله من جنس حجابه احتجب عن حقيقة ما دل عليه.

وقال لي: أنا حِجاب عارفي، وأنا دليل عارفي، تعرفت فعَرَفَني، وعرف أني تعرفت، واحتجبت فعرفني، وعرف أنني احتجبت.

وقال لي: من لم يكن جاذبه الله لم يصل إلى الله.

وقال لي: من أَنِسَ بالحجاب الداني أمالَه إلى الحجاب القاصي.

وقال لي: إذا علمت العلم من لَدُني أخذتك باتباع العالمين، كما أخذتك باتباع الجاهلين.

وقال لي: إذا رأيت قربي وبعدي أخذتك باتباع القاصدين كما أخذتك باتباع المعرضين.

وقال لي: كما آليت أن أظهر حكمتي، كذا آليت أن لا أنقض حكمتي.

وقال لي: عفْوي لا ينقض حكمتي، وحكمتي لا تنقض معرفتي.

موقف السكينة

أوقفني في السكينة وقال لي: هي الوجد بي أَثْبَتَ ما أثبت وَمَحا ما محا.

وقال لي: أثبت ما أثبت من أمري، فأوجب أمري ما أوجَبَ من حكمي، فخرج حكمي بما جرى من علمي، فغلب علمي فأشهدتك أنه غلب، فتلك سكينتي فشهدت، فتلك بَيِّنَتي.

وقال لي: السكينة أن تدخل إليَّ من الباب الذي جاءك منه تعرّفي.

وقال لي: فتحت لكل عارف محق باباً إليَّ، فلا أغلقه دونه، فمنه يدخل ومنه يخرج، وهو سكينته التي لا تفارقه.

وقال لي: أصحاب الأبواب من أصحاب المعارف، هم الذين يدخلونها بعلم منها، ويخرجون منها بعلم مني.

وقال لي: السكينة أن تدعو إليَّ، فإذا دعوت إلي ألزمتك كلمة التقوى، فإذا ألزمتك كنتَ أحق بها، فإذا كنت أحق بها كنت أهلَها، فإذا كنت أهلها كنت مني، وأنا أهل التقوى وأنا أهل المغفرة.

وقال لي: فتحتُ لك باباً فلا أحجبك عنه، وهو نظرك إلى ما منه خُلقت، فأشهدتك إشهادي في نظرك، فهو بابك الذي لا يُغلق دونك، وهو سكينتك التي لا تُرفع عنك.

وقال لي: إذا قَصَدْت إلي الباب فاطرح السِّوى من ورائك، فإذا بلغت إليه، فأَلْقِ السكينة من ورائه، وادخل إليَّ، لا بعلم فتجهل، ولا بجهل فتخرج.

وقال لي: في كل علم شاهد سكينة، وحقيقتها في الوقوف بالله.

وقال لي: الصبر من السكينة، والحلم من الصبر، والرفق من الحلم.

وقال لي: إذا قصدت إليَّ لَقِيَك العِلم فألقه إلى الحرف فهو فيه، فإذا ألقيتَه جاءتك المعرفة، فألقها إلى العلم فهي فيه، فإذا ألقيتها جاءك الذكر فألقه إلى المعرفة فهو فيها، فإذا ألقيتها جاءك الحمد فألقه إلى الذكر فهو فيه، فإذا ألقيته جاءك الحرف كله فألْقِه إلى الأسماء فهو فيها، فإذا ألقيته جاءتك الأسماء فألقها إلى الاسم فهي فيه، فإذا ألقيتها جاءك الاسم فألقه إلى الذات فهو لها، فإذا ألقيتها جاءك الإلقاء فألقه إلى الرؤية فهو من حكمها.

موقف بين يديه

أوقفني بين يديه وقال لي: اجعل الحرف وراءك وإلا ما تفلح وأَخَذَك إليه.

وقال لي: الحرف حجاب، وكلية الحرف حجاب، وفرعية الحرف حجاب.

وقال لي: لا يعرفني الحرف، ولا ما في الحرف، ولا ما من الحرف، ولا ما يدل عليه الحرف.

وقال لي: المعنى الذي يخبر به الحرف حرف، والطريق الذي يهدي إليه حرف.

وقال لي: العِلم حرفٌ لا يعربه[6] إلا العمل، والعمل حرفٌ لا يعربه إلا الإخلاص، والإخلاص حرفٌ لا يعربه إلا الصَّبر، والصبر حرفٌ لا يُعربه إلا التسليم.

وقال لي: المعرفة حرف جاء لمعنى، فإن أعربته بالمعنى الذي جاء له نَطَقْت به.

وقال لي: السِّوى كله حرف، والحرف كلُّه سوى.

وقال لي: ما عَرَفَني من عرف قَربي بالحدود، ولا عرفني من عرف بعدي بالحدود.

وقال لي: الشكُّ في الحرف، فإذا عَرَض لك، فقل من جاء بك؟

وقال لي: الكيف في الحرف.

وقال لي: العبارة حرف، لا حكم لحرف.

وقال لي: تعرّفي إليك بعِبارةٍ توطئةٌ لتعّرفي إليك بلا عبارة.

وقال لي: إذا تعرفت إليك بلا عبارة خاطبك الحجر والمدر [7].

وقال لي: إن سكنت إلى العبارة نِمت، وإن نمت مِتّ، فلا بحياة ظفرت، ولا على عبارة حصلت.

وقال لي: الأفكار في الحرف، والخواطر في الأفكار، وذكري الخالص من وراء الحرفِ والأفكارِ، واسمي من وراء الذكر.

وقال لي: إذا جُزْت الحرف وقفْتَ في الرؤية.

وقال لي: لن تقف في الرؤية حتى ترى حجابي رؤيةً، ورؤيتي حجاباً.

وقال لي: إذا جئتني فألْقِ العبارة وراء ظهرك، وألقِ المعنى وراء العبارة، وألق الوجدَ وراء المعنى.

وقال لي: إن لقيتَني وبيني وبينك شيء مما بدا، فلست مني ولا أنا منك.

وقال لي: إن لقيتَني وبيني وبينك شيء مما بدا، لقيتك وبيني وبينك شيء مما بدا، فأنا أحقُّ بما بدا.

وقال لي: أنا الذي لا أحب أن ألقاك بما بدا، وإن كنت أستحقه عليك، فلا تَلْقني به، فليس حسنة منك.

وقال لي: إذا جئتني فألق ظهرك، وألق ما وراء ظهرك، وألق ما قدامك، وألق ما عن يمينك، وألق ما عن شِمالك.

وقال لي: إلقاء الذكر أن لا تذكرني من أجل السِّوَى، وإلقاء العلم أن لا تعمل به من أجل السِّوَى.

وقال لي: لن تلقى في موتك إلا ما لقيتَه في حياتك.

وقال لي: اعرض نفسك على لقائي في كل مرة أو مرتين، وألق ما بدا كله والْقَني وحدَك، كذا أعلِّمك كيف تتأهب للقاء الحق.

وقال لي: احفظْ نهارك أحفظ ليلك، احفظْ قلبك أحفظ همك، احفظ علمك أحفظ عزمك.

وقال لي: اعرض نفسَك عليَّ في أدبار الصلوات.

وقال لي: أتدري كيف تلقاني وحدك؟ أن ترى هدايتي لك بفضلي لا أن ترى عملك، وأن ترى عفوي لا أن ترى علمك.

وقال لي: اعلم واجتهد، واعمل واجتهد، واجتهد واجتهد، فإذا فرغت فألقه في الماء آخُذْه بيده، وأثمره ببركتي، وأزيد فيه كرمي.

وقال لي: أحسن إلى كل أحد تنبه روحُه على التعلق بي، واحلم عن كل أحد تنبه عقلُه على استفتاح أمري ونَهْيي.

وقال لي: تواضع لي تزهد فيما زهدت فيه.

وقال لي: إذا رأيت القاسية قلوبُهم فصِف لهم رحْمتي، فإن أجابوك، وإلا فاذكر عظيم سطوتي.

وقال لي: إن اعترفوا لك فقد أجابوك، وإن أنكروا ما تقول فقد جحدوك.

وقال لي: إنما اسمك مكتوب على وجه ما به تسكن.

وقال لي: إنما أنظر إلى ما به تستقل.

وقال لي: إن خرجت من معناك خرجت من اسمك، وإن خرجت من اسمك وقعْت في اسمي.

وقال لي: السِّوى كله محبوس في معناه، ومعناه محبوس في اسمه، فإذا خرجت من اسمك ومعناك لم يكن لمن حُبس في اسمه ومعناه سبيلٌ عليك.

وقال لي: إذا وقعتَ في الاسم ظهرت عليك علامة الإنكار، فتعرَّض كل شيء لفتنتك، وتراءى كل خاطر لقلبك.

وقال لي: الآن من تعرض بك فقد تعرض بي[8].

وقال لي: انظر ما به تسكن، فإنه مضاجعك في قبرك.

وقال لي: من قام في مقام معرفتي فخَرَج منه، وعرف الوجد بي فخرج منه مستقراً بخروجه، أوقدت له ناراً مفردة.

وقال لي: أنا العظيم الذي لا يحمل عظمته ما سواه، وأنا الكريم لا يحمل كرمه ما سواه.

وقال لي: غَلبت أنوار ذكري على الذاكرين فأبصروا قَدسي، فكشف لهم قدسي عن عظمتي، فعرفوا حقي، فأسفرتِ لهم عظمتي عن عياني، فخشعوا لعزي، فأخبرهم عزي بقربي وبعدي، فاستيقنوا قربي، فأجهَلهم بي قربي فرسخوا في معرفتي.

موقف قلوب العارفين

وإن رضيتم القرار على ما عرفتم فما أنتم مني.

وقال لي: آية معرفتي أن لا تسألني عني ولا عن معرفتي.

وقال لي: إذا ألفت معرفتي بينك وبين علم أو اسم أو حرف أو معرفة فجريت بها وأنت بها واجد، وأنت بها ساكن، فإنما معك علم معرفة، لا معرفة.

وقال لي: صاحب المعرفة هو المقيم فيها لا يخبر، وصاحب المعرفة هو الذي إن تكلَّم تكلم فيها بكلام تعرفي وبما أخبرتُ به من نفسي.

وقال لي: أنت من أهل ما لا تتكلم فيه وإن تَكَلَّمتَ فيه، وإن تكلمت خرجت من المقام، وإذا خرجت من المقام فلست من أهله، إنما أنت به من العالمين، وإنما أنت له من الزائرين.

وقال لي: كيف لا تحزن قلوب العارفين وهي تراني أنظر إلى العمل، فأقول لسيئه: كن صورة تلقى بها عاملك، وأقول لحسنه: كن صورة تلقى بها عاملك.

وقال لي: قلوب العارفين تخرج إلى العلوم بسطوات الإدراك، وذلك كِبرها، وهو الذي أنهاها عنه.

وقال لي: يتعلق العارف بالمعرفة، ويدّعي أنه تعلق بي، ولو تعلق بي هرب من المعرفة كما يهرب من النكرة.

وقال لي: قل لقلوب العارفين: أنصتوا له لا لتعرفوا، واصمتوا له لا لتعرفوا، فإنه يتعرف إليكم كيف تقيمون عنده.

وقال لي: قل لقلوب العارفين: رأيت معرفة أعلى من معرفتي، فوقفت في الأعلى ووقفت في حجابي، فأظهرت الوصول إلى عند عبادي، فأنت في حجابي تدَّعيني، وهم في حجابي لا يدَّعوني.

وقال لي: قل لقلوب العارفين لا تخرجي عن بالك، وإن هديت لي من ضلَّ، أتضلين عني وتريدين أن تهدي إليَّ؟

وقال لي: وزن معرفتك كوزن ندمك.

وقال لي: قلوب العارفين ترى الأبد، وعيونهم ترى المواقيت.

وقال لي: أصحابي عطل مما بدا، أحبابي من وراء اليوم وغدا.

موقف أدب الأولياء

أوقفني في أدب الأولياء، وقال لي: إن وَليِّي لا يسعه حرف، ولا يسعه تصريف حرف، ولا يسعه غيري، لأني جعلت له من وراء كل خلق علماً بي.

وقال لي: أدب الأولياء ألا يتولوا شيئاً بهمومهم، وإن تولوه بعقولهم.

وقال لي: مقام الولي بيني وبين كل شيء، فليس بيني وبينه حجاب.

وقال لي: سميت وَلِيِّي وليي؛ لأن قلبه يليني دون كل شيء، فهو بيتي الذي فيه أتكلم.

وقال لي: قد عرفْتَني وعرفت آيتي، ومن عرف آيتي برِئَتْ منه ذمةُ العذر، فإذا جلست فاجعل آيتي من حولك ولا تخرج عنها فتخرجَ من حِصني.

وقال لي: إما أن تدعوني فآتيك، وإما أن أدعوك فتأتيني[9].

وقال لي: قل لأوليائي قد خاطَبَكم قبل هياكلكم الطينية ورأيتموه، وقال لكم: هذا كون كذا فانظروه، وهذا كون كذا وانظروه، فرأيتم كل كون أبداه رأي العيان، فكذلك سترونه الآن، ثم دحا الأرض، وقال لكم: انظروا كيف دحا الأرض، وقال لكم، أريد أن أظهركم لملكي وملكوتي، وإني أريد أن أظهركم لبراياي وأكواني وملائكتي، وإني سوف أخلق لكم من هذه الأرض هياكل، وأظهركم فيها آمرين ناهين مقدمين مؤخرين.

موقف المحضر والحرف

أوقفني في المحضر، وقال لي: الحرف حجاب، والحجاب حرف.

وقال لي: قف في العرش، فرأيت الحرم لا يسلكه النطق ولا تدخله الهموم، ورأيت فيه أبواب كل شيء، ورأيت الأبواب كلها ناراً، وللنار حرم لا يدخله إلا العمل الخالص، فإذا دخله صار إلى الباب، فإذا صار إلى الباب وقف فيه على المحاسبة، ورأيت المحاسبة تفرد ما لوجه الله كما لسواه، ورأيت الجزاء سواه، ورأيت الخالص له ومن أجله يرفع من الباب إلى المنظر الأعلى، فإذا رفع إليه كتب على الباب جاز الحساب.

وقال لي: إن لم تأكل من يدي وتشرب من يدي لم تستوِ على طاعتي.

وقال لي: إن لم تطعني لأجلي لم تستوِ على عبادتي.

وقال لي: اطرح ذنبك تطرح جهلك.

وقال لي: إن ذكرت ذنبك لم تذكر ربك.

وقال لي: في الجنة من كل ما يحتمله الخاطر، ومن ورائه أكبر منه، وفي النار من كل ما يحتمله الخاطر، ومن ورائه أكبر منه.

وقال لي: الذي يصدك عني في الدنيا يصدك عني في الآخرة.

وقال لي: أوقفت الحرف قدام الكون، وأوقفت العقل قدام الحرب، وأوقفت المعرفة قدام العقل، وأوقفت الإخلاص قدام المعرفة.

وقال لي: لا يعرفني الحرف، ولا يعرفني ما عن الحرف، ولا يعرفني ما في الحرف.

وقال لي: إنما خاطبت الحرف بلسان الحرف، فلا اللسان شهدني، ولا الحرف عرفني.

وقال لي: النعيم كله لا يعرفني، والعذاب كله لا يعرفني.

وقال لي: لو عرفني النعيم انقطع بمعرفتي عن التنعيم، ولو عرفني العذاب انقطع بمعرفتي عن التعذيب.

وقال لي: يبدو البادي من جنس ما يستقر عليه.

وقال لي: العلم المستقر هو الجهل المستقر.

وقال لي: إنما توسوس الوسوسة في الجهل، وإنما تخطر الخواطر في الجهل.

وقال لي: أعدى عدوٍّ لك إنما يحاول إخراجك من الجهل لا من العلم.

وقال لي: إن من صدك عن العلم، فإنما يصدك عنه ليصدك عن الجهل.

وقال لي: الذين عندي لا يفهمون عن حرف هو يخاطبهم، ولا يفهمون في حرف هو مكانهم، ولا يفهمون عنه وهو علمهم، أشهدتهم قيامي بالحرف، فرأوني قيماً، وشهدوه جهة، وسمعوا مني، وعرفوه آلة.

وقال لي: الحرف مكانهم بما به بدا، والحرف علمهم بما عنه بدا، والحرف موقفهم بما له بدا.

وقال لي: العارف يخرج مبلغه عن الحرف، فهو في مبلغه وإن كانت الحروف سِتره.

وقال لي: مبلغ العارف مستقره، ومستقره هو الذي إن لم يكن به لم يسكن.

وقال لي: الحرف لا يلج الجهل ولا يستطيعه.

وقال لي: الحرف دليل العلم، والعلم معدن الحرف.

وقال لي: أصحاب الحروف محجوبون عن الكشوف، قائمون بمعانيهم بين الصفوف.

وقال لي: الحرف فجَّ إبليس.

وقال لي: بقي علم بقي خطر، وبقي قلب بقي خطر، وبقي عقل بقي خطر، وبقي هم بقي خطر.

وقال لي: معناك أقوى من السماء والأرض.

وقال لي: معناك يبصر بلا طرف، ويسمع بلا سمع.

وقال لي: معناك لا يسكن الديار، ولا يأكل الثمار.

وقال لي: معناك لا تحيط به الألباب، ولا تتعلق به الأسباب.

وقال لي: هذا معناك أنا خلقته، وهذه أوصافه أنا جعلته، وهذه حليته أنا أثبته، وهذا مبلغه أنا جوَّزته.

وقال لي: أنا من ورائه ومن وراء ما عرفته، لا تَعْلمني علومه، ولا تشهدني شواهده.

وقال لي: إن لم أنتصر بك لم تثبت، وإن لم تثبت لم أتعرف إليك.

وقال لي: اذكرني تعرفني، وانصرني تشهدني.

وقال لي: أنا القريب بلا بيان قرب، وأنا البعيد بلا بيان بعد.

وقال لي: أنا الظاهر لا كما ظهرت الظواهر، وأنا الباطن لا كما بطنت البواطن.

وقال لي: عافني من معافاتك منك، وحل بيني وبين ما يحول عنك، ولا تذرني بمذاري الحرف في معرفتك، ولا توقفني أبداً إلا بك.

وقال لي: تعلم العلم لوجهي تصبِ الحق عندي.

وقال لي: إذا أصبت الحق عندي أثنيت عليك بثنائي على نفسي.

وقال لي: من تعرفت إليه توليت نعيمه بنفسي، وتوليت عذابه بنفسي، فأمددت النعيم من نعيمه، وأمددت العذاب من عذابه.

وقال لي: الاسم إلف معطوف.

وقال لي: العلم من وراء الحروف.

وقال لي: المحضر خاصّ، ولكل خاصٍّ عامّ.

وقال لي: الحضرة تحرق الحرف، وفي الحرف الجهل والعلم، ففي العلم الدنيا والآخرة، وفي الجهل مطلع الدنيا والآخرة، والمطلع مبلغ كل ظاهر وباطن، والمبلغ محو في بادٍ من بوادي الحضرة.

وقال لي: الحرف لا يلج الحضرة، وأهل الحضرة يعبِّرون الحرف، ولا يقفون عليه.

وقال لي: تستوحش تحت الأرض مما تستوحش منه فوق الأرض.

وقال لي: أهل الحضرة ينفون الحرف مع ما فيه نفي الخواطر.

وقال لي: إن لم تكن من أهل الحضرة جاءك الخاطر، وكل السوى خاطر، فلم ينفه إلا العلم، وللعلم أضداد، ولا تخلص إلا بالجهاد.

وقال لي: لا جهاد إلا بي، ولا علم إلا بي، فإن وقفت بي فأنت من أهل حضرتي.

وقال لي: انظر إلى قبرك، إن دخل معك العلم دخل معه الجهل، وإن دخل معك العمل دخلت معه المحاسبة، وإن دخل معك السِّوَى دخل معه ضده من السِّوَى.

وقال لي: إذا تعرفت إليك فاحذرني. لا أجعل العذاب وما فيه في جارحة من جوارحك، وارج فضلي في أضعاف ذلك في كرامتك.

وقال لي: أهل الحضرة هم الذين عندي.

وقال لي: الخارجون عن الحرف هم أهل الحضرة.

وقال لي: الخارجون عن أنفسهم هم الخارجون عن الحرف.

وقال لي: اخرج من العلم تخرج من الجهل، واخرج من العمل تخرج من المحاسبة، واخرج من الإخلاص تخرج من الشرك، واخرج من الاتحاد إلى الواحد، واخرج من الوحدة تخرج من الوحشة،

واخرج من الذكر تخرج من الغفلة، واخرج من الشكر تخرج من الكفر.

وقال لي: اخرج من السِّوَى تخرج من الحجاب، واخرج من الحجاب تخرج من البعد، واخرج من البعد تخرج من القرب، واخرج من القرب ترَ الله.

مخاطبة الوجد

يا عبد، إن أفقدْتُك الوجدَ بي حجبتُك عن العلم بي، وإن حجبتك عن العلم بي علَّقتك بعلم من المعلومات سواي، وإن علقتك بعلم من المعلومات سواي أوجدتك بك، وإن أوجدتك بك عاد وجدك بك حاجباً عن المعلومات، فلا لك علم بمعلوم وأنت بك واجد، ولا لك علم بي وأنت بالمعلومات متعلق.

يا عبد، أنا الذي لا تحيط به العلوم فتحصره، وأنا الذي لا يدركه تقلُّب القلوب فتُشيرُ إليه، حجبت ما أبديت عن حقائق حياطتي بما أبديت من غرائب صنعتي، وتعرفت من وراء التعرف مما لا ينقال للقول، فيعبره، ولا يتمثل للقلب، فيقوم به ويشهده.

يا عبد آية معرفتي أن تزهد في كل معرفة، فلا تبالِ بعد معرفتي بمعرفة سواي.

يا عبد، لا تخرج في غيبتي عن ذكري، فيغلبك كلُّ شيء ولا أنصرك.

يا عبد، اعتبر محبتي بنصري لك.

يا عبد، اطلب نصري لك في تقلب قلبك.

يا عبد، لئن أقمت في رؤيتي لتقولن للماء: أقبل وأدبر.

يا عبد، من الماء كل شيء حي، فلئن تصرفت فيه فلتتصرفن فيما فيه.

يا عبد، إذا رأيتني تساوى الخوف والأمن.

يا عبد، لو أدرت الكون فقلبته على أسراره ما استوى فيه ضدان.

يا عبد، أثبتت رؤيتي قلبك، ومحت الكون، فالثبت يحكم في المحو.

يا عبد، أنا أولى بك مما أُبدي، وأنت أولى بي مما أخفي.

يا عبد، إذا لم ترني فاسمع لعلمك بي وأطعه، إنما علمك بي دليلك، فإذا رأيتني فقف أنت في مقامك، وخلِّ علمك ليقوم من وراء مقامك.

مخاطبة الهم

يا عبدُ، همك المحزون عليَّ كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

يا عبد، قل: لبيك رب على كل حال.

يا عبد، أنا عند الحزين عليَّ وإن أعرض عني.

يا عبد، كيف يحزن عليَّ من لم يرني؟ أم كيف لا يحزن عليَّ من رآني؟

يا عبد، قل: لبيك رب؛ أكتبك مجيباً من كل وجه، وإن كتبتُك مجيباً من كل وجه جعلت لك بين يدي موقفاً، وجعلت كل شيء وراء ظهرك.

يا عبد، إذا وَقَفْت بين يديَّ فوارِ عني كل شيء حتى همك المحزون عليَّ.

يا عبد، جزاء المحتمل في أن لا أغيب عنه أين حل.

يا عبد، اجعل لي من بيتك وطناً كما جعلت لذكري من قلبك وطناً.

يا عبد، الهمُّ المحزون كالمعول في الجدار المائل.

يا عبد، لكل شيء قلب، وقلبُ القلب همُّه المحزون.

يا عبد، القلب ينقلب، قلب القلب لا ينقلب.

يا عبد، المتقلب يصلح على كل شيء، ما لا ينقلب لا يصلح على شيء.

يا ضعيف، وارِ جسمك أُوارِ قلبك، وارِ قلبك أوار همك، وارِ همك تَرَني.

يا عبد، هذا ما عهد ربك إلى الضعيف: اتخذْ عهداً بالخلوة أنصْرك، وإلا فلا.

مخاطبة الجهل

يا عبد، إن لم تدرِ من أنت مني، فما أنا منك، ولا أنت مني.

يا عبد، استعذ بي من كل جهل إلا جهلاً بي.

يا عبد، لا تجالس من لا يعرفني إلا نذيراً، فإن أناب بنذرك فبشيراً.

يا عبد، رؤية الدنيا توطئة لرؤية الآخرة.

يا عبد، كن بي ترَ العلم والجهل حدين، وتر النطق والصمت فيهما حدين، وترَ كل حدية محجوبة عني بحديتها، وتر الحجاب ظاهره العلم وباطنه الجهل، وتر العبيد في العليم وفيه بيوتهم وفيها قرارهم، وتر العبيد الأعزة في الجهل فيه بيوتهم وبين يديَّ قرارهم.

يا عبد، حجاب لا يكشف، وكشوف لا يحجب، فالحجاب الذي لا يكشف هو العلم بي، والكشوف الذي لا يحجب هو العلم بي.

يا عبد إذا فصلك علمي عن المعلومات فكشوف، وإذا أوجدك علمي بالمعلومات فحجاب.

مخاطبة ما أنتَ منِّي

يا عبد، ثَبَت لك الحرف ما أنت مني ولا أنا منك، عارَضَك الحرف ما أنت مني ولا أنا منك.

يا عبد، جعت فأكلت ما أنت مني ولا أنا منك، عطشت فشربت ما أنت مني ولا أنا منك.

يا عبد ناجيتك فطلبت ما أنت مني ولا أنا منك، أحضرت فسألت ما أنت مني ولا أنا منك.

يا عبد، استبصرت لهدى الثواب ما أنت مني ولا أنا منك، صمت لتدخل من الريان[10] ما أنت مني ولا أنا منك.

يا عبد، ذَكَرْتني لتحرس دنياك ما أنت مني ولا أنا منك.

يا عبد، فقهتك فتأولت ما أنت مني ولا أنا منك، شكوت إلى سواي ما أنت مني ولا أنا منك، لم ترض إذا رضيت ما أنت مني ولا أنا منك، لم تغضب إذا غضبت ما أنت مني ولا أنا منك.

يا عبد، قل أعوذ بوحدانية وصفك من كل وصف، وأعوذ برحمانية برك من كل عسف.

يا عبد، قل أعوذ بذاتك من كل ذات.

يا عبد، قل أعوذ بوجهك من كل وجه.

يا عبد، قل أعوذ بقربك من بعدك، وأعوذ ببعدك من مقتك، وأعوذ بالوجد بك من فقدك.

يا عبد، اجعل ذنبك تحت رجليك، واجعل حسنتك تحت ذنبك.

يا عبد، من صبر عن سواي أبصر نعمتي، وإلا فلا.

يا عبد، من شكرني تعبَّد لي، وإلا فلا.

يا عبد، من تعبَّد لي أخلص، وإلا فلا، من أخلص لي قبلته، وإلا فلا، من قبلته كلَّمته، وإلا فلا.

يا عبد، من كلَّمته سمع مني، وإلا فلا. من سمع مني أجابني، وإلا فلا. من أجابني أسرع إليَّ، وإلا فلا. من أسرع إلي جاورني، وإلا فلا. من جاورني أجرْتُه، وإلا فلا. من أجرته نصرته، وإلا فلا. من نصرته أعززته وإلا فلا.

مخاطبة الحرف

يا عبد، أنا أقرب من الحرف وإن نَطَق، وأنا أبعد من الحرف وإن صَمَت.

يا عبد، أنا رب الحرف والمحروف فما لها مني مجال، وأنا مَرْقَب الحرف والمحروف فما لها عن جعلي مدار.

يا عبد، للحرف حكم أنا مودعه، وللمحروف حكم أنا واضعه، فلا تذهب بالحكم المودع عن الحكم المودع، فإليه يرجع ما أودع، وبه ينفد ما حكم.

يا عبد، لا تذهب بالحكم الموضوع عن الواضع، فيه يجري ما وضع، وإن شاء وقفه.

يا عبد، الحرف حرفي والعلم علمي، وأنت عبدي لا عبد حرفي ولا عبد علمي، فقف بين يدي لا بين يدي حرفي، وقف بين يدي لا بين يدي علمي، إن حرفي يقوم بين يديَّ كما تقوم، وإن علمي يقوم بين يديَّ كما تقوم.

يا عبد، لا تقف في الجهة فتصرفك إلى الجهات، ولا تقف في العلم فيصرفك إلى المعلومات، ولا تخرج عن الوقفة فتنتهبك المكونات.

يا عبد، لي الأسماء أودعتها، فبي ما أودعتها. ولي الأوصاف ضمنتها، فبي ضمنتها.

يا عبد، إن أخذك اسم أسلمك إلى اسمك، وإن أخذك وصف أسلمك إلى وصفك.

يا عبد، كل آخذ سواي يأخذك، فإلى نفسك يسلمك، فإذا أخذتك نفسك فإلى عدوك تسلمك.

يا عبد، قف بي فلا أسلمك إلا إليَّ، ولا أعوِّل بك إلا عليَّ.

يا عبد، قف بي، فإذا وقفت فنطقت فأنا الناطق، وإذا حكمت فأنا الحاكم.

يا عبد، الاسم معدن العلم، والعلم معدن كل شيء، فمرجع كل شيء إلى العلم، ومرجع العلم إلى الاسم، ومرجع الاسم إلى المسمى، فاستهلك الاسم العلم، فكأين هو اسم لا علم فيه، واستهلك العلم المعلوم، فكأين هو علم لا معلوم فيه، واستهلك المسمَّى الاسم، فكأين هو مُسمَّى لا اسم فيه.

يا عبد، الحرف والمحروف دهليز إلى العلم، والعلم دهليز إلى الاسم، والاسم دهليز إلى المُسمَّى.

يا عبد، لي في الاسم والعلم والحرف أبواب، فاسلك تلك الأبواب لا أبواب علمك ولا أبواب اسمك، إن الاسم حجابي، وإن العلم حجابي، وإن الحرف حجابي، ومقامك إنما هو بين يديَّ، فإذا دعوتك إلى الاسم فإلى الحجاب دعوتك، فخذ نوري معك لتمشي به في ظلمة ذلك الحجاب، فكل حجاب ظلمة لأن النور لي، وأنا نور السماوات والأرض، فاستعذ بي من نوري، واستعذ بنوري من حجابي، وقم يا عبد لي في مصاف العبيد، فقد أذنت لك.

مخاطبة النور

يا عبد، كتبتُ في كل نوريَّة أين وقف بك عبدي فقف فيه، وأين سار بك عبدي فسر به.

يا عبد، الأسماء نور الحرف، والمسمى نور الأسماء، فقف عنده ترَ نوره. وتمشي به في نوره فلا تغشى به في نوره.

يا عبد، إن وقفت في النور غشيت، فلا إليَّ تنظر، ولا إلى النور تنظر، فترجع مراجعك إليك، فترى بك شهواتك، وتمشي بك في خطواتك.

يا عبد إذا أردت لي شيئاً فانظر ما تريد لي؛ أينقلك عن مقامك مني أم يثبتك فيه، فإن نقلك عن مقامك مني، فإرادتك هي نفسك، ونفسَك أردت.

يا عبد، إذا عرفت مقامك مني فأنت من أهل الوصول بلا حجاب، فلا ترد لي فتهبط بك إرادتك لي إلى الإرادة لك، ولا ترد مني فتهبط بك الإرادة إلى غضب نفسك عليَّ.

يا عبد، أهل المقامات مني لا يريدون، ولا يرتادون، ولا يهيئون، ولا يعيدون، ولا يعتادون.

يا عبد، انظر إليَّ وإلى شأني، فانظر إليَّ بما تعرف به إليك من أسمائي وصفاتي، وانظر إلى شأني بما أتعرّف به إليك من حكمتي واختياري.

يا عبد، سلِّم لي أفتح لك باباً إلى التعلق بي.

يا عبد، إذا اعتَرَضَتْ عليك نفسك فارددها، والذي اعترضت به عليك إليَّ.

يا عبد، جمعتُك عليّ بالرحمانية، وأخلصتُك لنفسي بخالصة علوم الربانية.

يا عبد، أثنيت عليك قبل خلقك، فأثنيت عليَّ حين خلقك، وأقبلت عليك قبل كونك، فأقبلت عليَّ حين كونك، فكنت لي بما كان مني.

يا عبد، لا تكن بالأعمال فتقف بك، ولا بالأحوال فتحول بك.

يا عبد، كيف لا تكون بالعلم تعمل، ويكون قلبك عندي لا في العمل؟

يا عبد، لا تكن بالعلم فينزل بك، ولا تكن بالمعرفة فتتنكَّر عليك.

يا عبد، إني جعلت لكل شيء عزة لتختطفك عنه فتهرب إليَّ، فأريك عزتي، فأجمعك بعزتي عليَّ.

يا عبد، لا تكن بالأسباب فتنقطع بك، ولا تكن بالأنساب فتتفرق عنك.

يا عبد، القول الحق ما أثبتك في الوجد بي من كل قائل، فاعتبر الأقوال بوجدك بي، واعتبر وجدك بي بإعراضك عن سواي.

يا عبد، احفظ مقامك مني أن تتخطفك الأقوال والأعمال، فما انقال لك في مقامي فقله، وما انفعل لك في مقامي فافعله.

يا عبد، إن مقامي لا تلجه الأقوال، ولا تدخله الأعمال.

يا عبد، إن مقامي قول وإليه أدعو، ولا في مقامي فعل وإليه أدعو، فأدعو إليه من عرف مقامي، وأدعو إليه من شهد قيامي.

يا عبد، أخرجْ قلبك من المؤتلف تُخرجْ قلبك من المختلف.

يا عبد، إن لم تخرج قلبك من المؤتلف لم تعرف حكمتي، ولم تبصر بنيَّتي.

يا عبد، المؤتلف كل ما سلمت عقباه، والمختلف كل ما هلكت عقباه.

مخاطبة القلب

يا عبد، قف لي في المصافّ بعلمك، وقف لي في المصافّ بعملك، وقف لي في المصافّ بقصدك، ولا تقف لي في المصافّ بقلبك، إنني اصطفيت قلبك لنفسي لا لعبادتي، وإنني اصطفيت قلبك لنظري لا لمصافّ الوقوف بين يديَّ، إن لي قلوباً غِرت عليها من الوقوف بين يدي لكيلا ترى الواقفين بين يدي، فتحتجب عن النظر إليَّ برؤية الواقفين لي، فجعلتها في يدي فهي مقيمة عندي، لا تخرج إلى المقامات، ولا يدخل إليها سواي، فهي تنظر إليَّ، وهي تسمع مني، وهي تتكلم عني.

يا عبد، القلب في يد الربّ، ولسان القلب يتكلم في المقام بين يدي الربّ.

يا عبد، إذا كنت بي فلا يسعك المكان، وإذا نطقت بي لم يسعك النطق.

يا عبد، الحرف خزانتي، فمن دخلها فقد حمل أمانتي، فإن حمل لي لا لنفسه فكرامتي، وإن حمل لي ولنفسه مطالبتي، وإن حمل لنفسه لا لي فبريء من ذمتي.

يا عبد، اشهدني في الحرف تشهد الصنعة، واشهدني في العلم تشهد الحكمة، واشهدني في الاسم تشهد الوحدانية.

يا عبد، الحرف لغات وتصريف وتفرقة، وتأليف موصول ومقطوع ومبهم ومعجم وأشكال وهيئات، والذي أظهر الحرف في لغة هو الذي صرفه، والذي صرفه هو الذي فرَّقه، والذي فرقه هو الذي ألّفه، والذي ألّفه هو الذي واصل فيه، والذي واصل فيه هو الذي قطعه، والذي قطعه هو الذي أبهمه، والذي أبهمه هو الذي أعجمه، والذي أعجمه هو الذي أشكله، والذي أشكله هو الذي هيأه، ذلك المعنى هو معنى واحد؛ ذلك المعنى هو نور واحد؛ ذلك الواحد هو الأحد الواحد.

مخاطب ولَني أمرَك

يا عبد، بنيت لك بيتاً بيدي، إن هدمتَ ما بنيتَه بيدك.

يا عبد، إذا رأيتني في الضدين رؤية واحدة فقد اصطفيتك لنفسي.

يا عبد، ولِّني أمرك بطرح أمرك.

يا عبد، الغيبة أن لا تراني في شيء، الرؤية أن تراني في كل شيء.

يا عبد، اجعل لي يوماً ولك يوماً، وابتدئ بيومي يحمل يومُك يومي.

يا عبد، اصبر لي يوماً أكفكَ غلبة الأيام.

يا عبد، إذا لم ترني تخطَّفك كلٌّ ما ترى.

يا عبد، لو ألفت بحزنك بين ما يختلف عليك، وارتبطت بفرحك ما يلائمك؛ كان مرادي الغالب.

مخاطبة إِلْفَين مؤْتلفَيْن

يا عبد، عكوفُك على الدنيا أحسن من عبادتك للآخرة.

يا عبد، تراني يوم القيامة بما تراني يوم فرحك وحزنك.

يا عبد، لست لشيء سواي فتكونَ به.

يا عبد، الغيبة والنفس كفرسي رهان.

يا عبد، الروح والرؤية إلفان مؤتلفان.

يا عبد، تَقلَّبِ القلب في الغيبة، وأسلم له في الرؤية.

مخاطبة المفازة

يا عبد، اجعل قلبك على يدي، لا يناله شيء ولا يخطر به.

يا عبد، من استبدل رؤيتي بغيبتي فقد بدل نعمتي.

يا عبد، لا تستظل بالمفازة فما في رؤيتي إضحاء ولا ظلّ.

يا عبد، إنما المفازة منزل رجلين: مشركٍ بي، أو محجوبٍ عني.

يا عبد، المفازة كل ما سواي.

يا عبد، ما في الرؤية إحقاق ولا استحقاق.

يا عبد، أدْلَلْت عليك، وأظهرت لك حبي لك إذ كلَّمتك بكلام أمرتُك أن تكلمني به.

مخاطبة النَّظَر

يا عبد، قل: ربي الناظر إليَّ فكيف أنظر إلى سواه؟ ربي رأيته فلم أره فاطمأنت به نفسي، ربي فرحت فلم أره، حزنت فلم أره، عبدته فلم أره، ربي حادثني بعلمه، وأسفر لي عن وجهه، فأين أنصرفُ وهو المتصرف؟ وممّن أسمع وهو على كل حديث رقيب؟ ربي أُذْنِبُ فأراه وراء ذنبي يغفره، أُحسن فأراه في إحساني يتمِّمه، ربي أشهدني أن لا حكم إلا له، وشهد عليَّ أن لا حكم إلا من أجلي، ربي أظهرني وأظهر لي، وقال لي أظهِرت لك سترة، وأظهرت لك ستراً والسترة بعد، وأنت من ورائه والستر قرب وأنا من ورائه، ربي أخرج قلبي من صدري وجعله على يده، وقال لي: عبادتك أن تُقر، وقد بلوتك بالتقليب، وقرارك في يدي، وتقليبك في صدرك. ربي أراه فأستقيم له.

يا عبد، إذا رأيتني فلفظ ربّ خاطر، وحجابك خاطر.

يا عبد، فانظر إليَّ من ورائه تعبره إليَّ.

يا عبد، الزينة تطفىء الغضب.

يا عبد، زينتك طَهور قلبك وجسمك.

يا عبد، طهورُ الجسم الماءُ، وطهورُ القلب الغضُّ عن السِّوَى.

يا عبد، نظرُ القلب إلى السِّوَى حدثٌ، وطهورُه التوبةُ.

مخاطبة العلم

يا عبد، علمٌ رأيتني فيه هو السبيل إليَّ، علم لم ترني فيه هو الحجاب الفاتن.

يا عبد، لي من وراء كل ظاهر وباطن علم لا ينفد.

يا عبد، أنا العالم من رآني نفعه العلم، من لم يرني ضرَّه العلم.

يا عبد، إذا رأيتني فالعلماء عليك حرام، والعلم بك إضرار.

يا عبد، إذا لم ترني، فجالس العلم، واستضىء بنور العلم.

يا عبد، نور العلم يضيء لك عنه لا عني.

يا عبد، العلماء يدلُّونك على طاعتي لا على رؤيتي.

يا عبد، إذا غِبتُ عنك لم تر عالماً، فاقرأ ما آتيتك من الحكمة، وقل: رب أنا العاجز عن رؤيتك، وأنا العاجز عن غيبتك، وأنا العاجز في كل حال عن البقاء على ديموميتك، إن أريتَني فما كشفت عني وإن غيبتني فلحديتي.

يا عبد، قل لي في الرؤية: أنت أنت، وقل لي في الغيبة: أنا أنا.

يا عبد، مأواك رضاك، فانظر ماذا رضيت.

مخاطبة الليل والنـهار

يا عبد، انظر ما ليلُك، فإشراقك على يده، انظر ما نهارك، فليلك على إثره.

يا عبد، توكَّل عليَّ من طلب مني، ولا فَوَّضَ إليَّ من يصير لي.

يا عبد، شكاني من اشتكى إليَّ، وهو يعلم أنني بليته.

يا عبد، وَسِع العلم كل شيء في الغيبة، وضاق العلم عن كل شيء في الرؤية.

يا عبد، إذا رأيتني لم يجمعك علي إلا الرؤية والبلاء، فإن أقمت في رؤيتي بلوتك بالبلاء كلِّه، وحملتك بالعزم فلم تزل، وإن لم تقم بلوتُك ببعض البلاء، وأعجزتك عن العزم، فذقت طعم البعد، واستخرجت منك بالعجز لرحمتي لك استغاثة، فحملتك بالاستغاثة إلى الرؤية.

مخاطبة الأَلِف

يا عبد، الحروف كلها مرضى إلا الأَلِف، أما ترى كل حرف مائلاً؟ أما ترى الألف قائماً غير مائل؟ إنما المرض الميل، وإنما الميل للسقام فلا تَمِل.

يا عبد، لا تخرج بسري فأخرج بسرك، انظر إلى كنفي عليك، كيف أسترك به عن خلفي ثم انظر إلى يديَّ عليك، كيف أسترك بهما عن كنفي ثم انظر إلى نظري إليك، كيف أسترك به عن يدي ثم انظر إليَّ، كيف أسترك بي عن نظري وكيف أسترك بنظري عن نفسي

يا عبد، إن سترت ما بيني وبينك، سترت ما بينك وبيني.

يا عبد، إن آتيتُك نطقاً فللحكمة، وإن آتيتك صمتاً فللعبرة.

يا عبد، لا يقوم لي شيء، ويقوم بي كل شيء.

يا عبد، أنا الراحم فلا تسبق رحمتي ذنوب المذنبين، وأنا العظيم فلا يستولي على معرفتي إجرام المجرمين.

يا عبد، أنا الرؤوف فلا يحيط برأفتي إعراض المعرضين، وأنا العواد بالجميل فلا يصرفني عنه غفلات الغافلين.

يا عبد، أنا المحسن فلا يحجب إحساني إنكار المنكرين، وأنا المُنعم فلا يقطع نعمتي لهو اللاهين.

يا عبد، أنا المنان ما مَنِّي لأجل شكر الشاكرين، وأنا الوهَّاب فلا يسلب موهبتي جحود الجاحدين.

يا عبد، أنا القريب فلا تعرف قربي معارف العارفين، وأنا البعيد فما تدرك بُعدي علوم العالمين.

يا عبد، أنا الدائم فلا تخبر عني الآباد، وأنا الواحد فلا تشبهني الأعداد.

يا عبد، أنا الظاهر فلا تراني العيون، وأنا الباطن فلا تطيف بي الظنون.

يا عبد، أنا الودود فلا ينصرف وجهي ما انصرفت، وأنا الغفور فلا ينتظر عفوي ما اعتذرت.

يا عبد، أنا الوهاب فلا أسلب ما وهبت، وأنا المُنيل فلا أسترد ما أنلت.

يا عبد، أنا المميل فلا يستقيم ما أملت، وأنا المقيل فلا ينصرع ما أقلت.

مخاطبة عبد الحرف

يا عبد، الحرف ناري، الحرف قدري، الحرف حتمي من أمري، الحرف خزانة سِرِّي.

يا عبد، لا تدخل إلى الحرف إلا ونظري في قلبك، ونوري على وجهك، واسمي الذي ينفسح له قلبك على لسانك.

يا عبد، لا أقول لك: ألقِ المفاتيح بين يدي حضرتي، أكرم بها في سريرتك، فمقامك من وراء الحرف لديَّ ومن وراء مفاتيح الحروف، فإذا أرسلتك إلى الحروف فلتقتبس حرفاً من حرف كما تقتبس ناراً من نار، أقول لك: أخرج ألفاً من باء، أخرج باء من باء، أخرج ألفاً من ألف.

يا عبد، قلت لك ذلك حتى هديتك لذلك، فرأيتَ ذلك رآه قلبُك، وعرفت ذلك عَرَفه قلبُك.

يا عبد، ما لأفكارك تنعطف على أفكارك، وما لهمومك تبيت وتصبح في همومك، أنت وليّ وأنا أولى بك، فأثبِتْني ذات سرك فأنا بها، وبما تتقلب به أعلمُ مِنك.



1. السِّوى: مصطلح لدى الصوفية يعني كل ما سوى الله. ↑

2. الظاهر هو أفعال الجوارح، والباطن هو أفعال القلوب. ↑

3. الموجود القابل للتحيز، والجرم والجسم والموضع والمكان. ↑

4. أن يغيب السالك عن حظوظ نفسه فلا يراها. ↑

5. للحروف تجسدات لدى الصوفية ومعان في ذاتها، وما تشير إليه، وهي تعني قبل أن تُركب في كلمات، ويستعملها النفري للدلالة على الأشكال والرسوم في مقابل الجوهر أو الحق. ↑

6. بمعنى يوضحه ويظهره. ↑

7. المدر: الطين اللزج المتماسك. ↑

8. يشبه الكلام هنا الحديث القدسي القائل: "من عادى لي وليًّا فقد آذنْتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إليَّ مما افترضْته عليه، ولايزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإن أحبَبْتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر فيه، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألَني لأُعْطِينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه"

↑.

9. يشبه الكلام هنا أيضاً الحديث القدسي القائل: "إذا تقرب العبد إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إليَّ ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة". ↑.

10. باب من أبواب الجنة. ↑.

Table of Contents